اهل مكة بالازل والعجف وجعله الذي هشم لهم الخبز ثريدا فغلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يعرف الا به وليس
لعبد شمس لقب كريم ولا اشتق له من صالح اعماله اسم شريف ولم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضبعه ويرفع من قدره
ويزيد في ذكره ولهاشم عبد المطلب سيد الوادي غير مدافع اجمل الناس جمالا واظهرهم جودا واكملهم كمالا وهو صاحب
الفيل والطير الابابيل وصاحب زمزم وساقي الحجيج وولد عبد شمس امية بن عبد شمس وامية في نفسه ليس هناك
وانما ذكر باولاده ولا لقب له ولعبد المطلب لقب شهير واسم شريف شيبة الحمد قال مطرود الخزاعي في مدحه
بيت يا شيبة الحمد الذي تثني له ايامه من خير ذخر الذاخر المجد ما حجت قريش بيته ودعا هديل فوق
غصن ناضر والله لا انساكم وفعالكم حتى اغيب في سقاة القابر قال حذافة بن غانم العدوي وهو يمدح
ابا لهب ويوصي ابنه خارجة بن حذافة بالانتماء الى بني هاشم اخارج اما اهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب
في القبر بني شيبة الحمد الكريم فعاله يضيء ظلام الليل كالقمر البدر لساقي الحجيج ثم للشيخ هاشم وعبد مناف
ذلك السيد الغمر ابو عتبة الملقي الي حواره اغر هجان اللون من نفر اغر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به
جمع الله القبائل من فهر فابو عتبة هو ابو لهب ابن عبد المطلب بن هاشم وابناه عتبة وعتيبة وقال العبدي
حين احتفل في الجاهلية فلم يترك بيت لا نرى في الناس حيا مثلنا ما خلا اولاد عبد المطلب وانما شرف
عبد شمس بابيه عبد مناف بن قصي وبني ابنه امية بن عبد شمس وهاشم شرف بنفسه وبابيه عبد مناف
وبابنه عبد المطلب والامر في هذا بين وهو كما اوضحه الشاعر في قوله بيت انما عبد مناف جوهر زين الجوهر
عبد المطلب قال ابو عثمان ولسنا نقول ان عبد شمس لم يكن شريفا في نفسه ولكن الشرف يتفاضل وقد اعطى
الله عبد المطلب في زمانه واجرى على يديه واظهر من كرامته ما لا يعرف مثله الا لنبي مرسل وان في كلامه
لابرهة صاحب الفيل وتوعده اياه برب الكعبة وتحقيق قوله من الله تعالى ونصره وعبده محبس الفيل
وقتل اصحابه بالطير الابابيل وحجارة السجيل حتى تركوا كعصف مأكول لاعجب البرهانات واسنى الكرامات
وانما كان ذلك ارهاصا لنبوة النبي صلى الله عليه وآله وتأسيسا لما يريده الله به من الكرامة وليجعل ذلك
البهاء مستفيدا له ومردودا عليه وليكون اشهر في الآفاق واجل في صدور الفراعنة والجبابرة والاكاسرة
واخذ دان يفهم المعاند ويكشف غباوة الجاهل ويعد من يناهض ويناضل رجالا ولكن لمحمد صلى الله عليه وآله
ولو عزلنا ما اكرمه الله به من النبوة حتى نقتصر على اخلاقه ومذاهبه وشيمه لما وفي به دنيا ولا عدل شيء
ولو شئنا ان نذكر ما اعطى الله عبد المطلب من تفجر العيون وينابيع الماء من تحت كلكل بعيره واخفافه
بالارض القسي وبما اعطي من المساهمة وعند المقارعة من الامور العجيبة والخصال البائنة لقلنا ولكنا احببنا
ان لا نحتج عليكم الا بالموجود في القرآن الحكيم والمشهور في الشعر القديم الظاهر على السنة الخاصة والعامة
ورواة الاخبار وحمال الآثار قال ومما هو مذكور في القرآن عدا حديث الفيل قوله تعالى لايلاف قريش وقد اجمعت
الرواة على ان اول من اخذ الايلاف لقريش هاشم بن عبد مناف فلما مات قام اخوه المطلب مقامه فلما مات
قام عبد شمس مقامه فلما مات قام نوفل وكان اصغرهم مقامه والايلاف هو ان هاشما كان رجلا كثير السفر
والتجارة فكان يسافر في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب
ومن ملوك اليمن والشام نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم
معه ربحا فيما يربح وساق لهم ابلا مع ابله فكفاهم مؤنة الاسفار على ان يكفوه مؤنة الاعداء في طريقه ومنصرفه
فكان في ذلك صلاح عام للفريقين وكان المقيم رابحا والمسافر محفوظا فاخصبت قريش بذلك وحملت معه
اموالها واتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت حالها وطاب عيشها قال وقد ذكر به حديث الايلاف
الحرث بن حنش السلمي وهو خال هاشم والمطلب وعبد شمس فقال بيت ان اخي هاشما ليس اخا واحد الآخذ الايلاف
والقائم للقاعد قال ابو عثمان وقد قيل ان تفسير قوله تعالى وآمنهم من خوف هو خوف من كان هؤلاء الاخوة

يمرون

يمرون به من القبائل والاعداء وهم مغربون ومعهم الاموال وهذا هو ما فسرنا به الايلاف آنفا وقد فسره قوم بغير ذلك
قالوا ان هاشما جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها اليه ليحمي بها اهل مكة فان ذؤبان العرب وصعاليك الاحياء
واصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانوا لا يؤمنون على الحرم لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة
ولا للشهر الحرام قدرا مثل طي وخثعم وقضاعة وبعض بلحرث بن كعب وكيف ما كان الايلاف فان هاشما كان القائم
به دون غيره من اخوته قال ابو عثمان ثم حلف الفضول وجلالته وعظمته وهو اشرف حلف كان في العرب كلها واكرم
عقد عقدته قريش في قديمها وحديثها قبل الاسلام لم يكن لبني عبد شمس فيه نصيب وقال النبي صلى الله عليه وآله
وهو يذكر حلف الفضول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت الى مثله في الاسلام لاجبت ويكفي من جلالته
وشرفه ان رسول الله صلى الله عليه وآله شهده وهو غلام وكان عتبة بن ربيعة يقول لو ان رجلا خرج مما عليه قومه
لدخلت في حلف الفضول لما ارى من كماله وشرفه ولما اعلم من قدره وفضيلته قال ولفضل ذلك الحلف وفضيلة
اهله سمي حلف الفضول وسميت تلك القبائل الفضول وكان هذا الحلف في بني هاشم وبني المطلب وبني اسد بن عبد
العزى وبني زهرة وبني تيم بن مرة تعاقدوا في دار ابن جدعان في شهر حرام قياما يتماسحون باكفهم صعدا ليكونن مع
المظلوم حتى يؤدوا اليه حقه ما بل بحر صوفة وفي التاسي في المعاش والتساهم بالمال وكانت النباهة في هذا
الحلف للزبير بن عبد المطلب ولعبد الله بن جدعان اما ابن جدعان فلان الحلف عقد في داره واما الزبير
فلانه هو الذي نهض فيه ودعا اليه وحث عليه وهو الذي سماه حلف الفضول وذلك لانه لما سمع الزبيدي
المظلوم ثمن سلعته قد اوفى على ابي قبيس قبل طلوع الشمس رافعا عقيرته وقريش في انديتها قائلا يا للرجال
لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الحي والنفر ان الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر حمي فحلف
ليعقدن حلفا بينه وبين بطون قريش يمنعون القوي من ظلم الضعيف والقاطن من عنف الغريب ثم قال
حلفت لنعقدن حلفا عليهم وان كنا جميعا اهل دار نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار ويعلم
من حوالي البيت انا اباة الضيم نهجر كل عار فبنو هاشم هم الذين سموا ذلك الحلف حلف الفضول وهم كانوا
سببه والقائمين به دون جميع القبائل العاقدة له والشاهدة لامره فما ظنك بمن شهده ولم يقم بامره قال
ابو عثمان وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعا ابيا وجميلا بهيا وكان خطيبا شاعرا وسيدا جوادا وهو الذي
يقول ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب اعزة حتى يموتوا ثيابهم شمال او عباء بها دنس الحميت ولكنا خلقنا اذ
خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت وكاس لو تبين لهم كلاما لقالت انما لهم سبيت تبين لنا القذى
ان كان فيها رصين الحلم يشربها هبيت ويقطع نخوة المختال عنا رقاق الحد ضربته صموت بكف مجرب
لا عيب فيه اذا لقي الكريهة يستميت قال والزبير بن عبد المطلب هو يقول واشحم من راح العراق مملاء محيط
عليه الجيش جلد مرائره صحبت به طلقا يراح الى الندى اذا ما انتشى لم يحتضره مفاقره ضعيف بحيث الكاس قبض
بنانه كليل على جلد النديم اظافره قال وبنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته وكانت عند العاص
بن وائل واخذوا للبارقي ثمن سلعته من ابي بن خلف الجمحي وفي ذلك يقول البارقي ويأبى لكم حلف الفضول
ظلامتي بني جمح والحق يؤخذ بالغصب وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتول الحسناء بنت التاجر
الخثعمي وكان كابره عليها حين رأى جمالها وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج وخشيت الفضول حين اتوني قد اراني
ولا اخاف الفضولا اني والذي يحج له شمط اياد وهللوا تهليلا لبراءة مني قتيلة يا للناس هل يتبعون الا
الفضولا وفيها الشاعر يقول لولا الفضول وانه لا آمن من عروتها لدنوت من ابياتها ولطفت حول خبائها
وكلمة التي يقولها حتى المخيلة اذ ناءت مناعة عدوانها لا بالفراق تنيلنا شيئا ولا بلقائها حلت بمكة
حلة في مشيها ووطائها في رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات ولم يكن يظلم بمكة الا رجال الاقوياء ولهم العدد
والعارضة منهم من ذكرنا قصته قال ابو عثمان ولهاشم اخرى لا يعد احد مثلها ولا يأتي بما يتعلق بها وذلك ان دوما

Copyright ... University